ثانيا : الوظيفة الاجتماعية للمدرسة وتطورها

ما من شك أن آمال المجتمعات وأمانيها وأحلامها تتركز فى المدرسة باعتبارها الوحدة الاجتماعية ، التى خلقها المجتمع كى تعد أبناءه وتزودهم بالمعارف والمهارات والاتجاهات الصالحة لبناء المجتمع .

والمدرسة بناء يشكل بموافقة قيادات بشرية ومادية ؛ لكى تؤثر فى حياة النشء الذين يلتحقون بها أى يعيشون فيها ، فالمدرسة إذا هى الأثاث والأجهزة والكتب والخرائط والصور ، وهى كذلك ألوان من النشاط الثقافى والاجتماعى والفنى والرياضى .

وهى فوق ذلك الأساتذة والتلاميذ ، الذين يعيشون معا مفكرين باحثين ومكتشفين ومطورين ، ومتطورين .. هى تفكير متواصل وعلاقات اجتماعية ونجاح وفشل ؛ فهى المزرعة التى تعطى الدفء والضوء والغذاء للجسم وللروح وللعقل ؛ لكى ينمو فى قوة وتناسق وانسجام ، وهى بمثابة الأخ الشقيق للإنسان نواة المجتمع ، ومصنع لرجال المستقبل .. فالمدرسة فى مجموعها هى الحياة ، بل هى الأمل للحياة والوسيلة لتحقيقها ، وهى تلك المجموعة من الآمال والمعانى ، التى يصبو إليها المجتمع الحديث فى إعداد مواطن صالح لخدمة المواطن .

فالمدرسة ضرورة اجتماعية ملحة ، لجأت إلى إنشائها المجتمعات لإشباع حاجات معينة ، والمدرسة ليست شيئا طبيعيا كالأسرة وإنما هى مستحدث ، شىء صناعى ، لم تفكر المجتمعات فى إنشائه وتنظيمه بطريقة علمية إلا حديثا .

ومن المسلم به أن الأسرة هى المدرسة الطبيعية الأولى فى حياة الإنسان ، وبجانب وظيفة الأسرة البيولوجية للفرد نراها تؤدى له وظائف اجتماعية ، تنعكس

آثارها على الإنسان طوال حياته . فإذا ما علمنا أن شخصية الفرد تتكون من عناصر متشابكة بعضها مكتسب وبعضها الآخر موروث ، وأن العناصر الموروثة مصدرها الأساسى هى الأسرة ، وأن الجزء الكبير من العناصر المكتسبة يمكننا إرجاؤه إلى الأسرة خصوصا فى السنوات الأولى من حياة الفرد التى يكون فيها أسلوب حياته .

ولقد ظلت الأسرة أجيالا طويلة ، تؤدى الوظيفة الأساسية فى نقل وترجمة التراث الثقافى من جيل إلى جيل آخر ، وبالمثل كانت القبيلة فى المجتمعات البدائية الأولى تنقل التراث من جيل إلى جيل وهكذا . وعندما ظهرت الأديان وانتشرت تعاليمها فى المجتمعات كان لها أثر كبير فى تطوير الثقافة البشرية خاصة ، وتطور الحياة الاجتماعية عامة ، وزيادة على ذلك تقدم العلم ونمو المعرفة واتساع مدارك البشر ونهج الأسلوب الصحيح . وهكذا أصبحت الأسرة فى ذلك الوقت عاجزة عن تأدية وظيفتها الثقافية كاملة ، وعن السير فى ركب الحضارة والثقافة ، وأصبح المجتمع فى حاجة إلى وسيلة يستكمل بها هذا النقص خارج نطاق الأسرة واختص رجال الدين بهذه المهمة ، وأصبحت دور العبادة تؤدى وظيفة المدرسة من تعليم ونشر للثقافة ، على أن غاية التعليم كانت تميل إلى الناحية الدينية وتفسير الكتب السماوية .

ثم تطورت بعد ذلك وظيفة المدرسة كحد حتمى تبعا لتطور المجتمعات ذاتها ، وتطورت هذه المجتمعات إلى المدرسة كوسيلة لإشباع حاجات معينة تراها هذه المجتمعات أشياء ضرورية ، وترى أن المدرسة هى المكان الوحيد الكفيل بتحقيق هذه الاحتياجات . ولقد ساعد على هذا التطور تقدم بعض العلوم كعلم النفس والتربية والاجتماع بنوع خاص ، والذى كان له أثر كبير على تعديل نظم التعليم والتربية والربط بين المدرسة والمجتمع برباط قوى ، باعتبارهما عنصرين متكاملين .

وهكذا أصبحت المدرسة تشكل مجتمعا صغيرا ، يعيش فيه الطلبة ويدربون على العمل الجماعى وعلى تحمل المسئوليات ويتعرفون معنى احترام القانون وطاعته وإدراك فكرة التضحية والحق والواجب فى سبيل الحق وفى سبيل مصلحة الجماعة.

وتقوم المدرسة الحديثة فى هذا العصر بتحقيق أهدافها وأغراضها الاجتماعية بأسلوبها الخاص فى الفصول، والمجتمعات، والأسرة المدرسية، واللجان ، والمجالس تحت قيادات حكيمة وواعية وموجهة ومستنيرة ، فهى تعلم الطلبة تعليما جماعيا فى فصول تضم هؤلاء الطلبة وهذا النظام الجمعى .. وزيادة على أنه نظام طبيعى يميل إليه الطالب بحكم فطرته ، فإنه أيضا مجال فسيح خصب ، يمكن للفرد أن ينشئ ويكون علاقات شخصية مع أفراد المجموعة التى يعيش وسطها . ولا شك أن الحياة المشتركة فى الفصل ودور النشاط الاجتماعى ، الذى يقوم به وميله إلى هذا الفصل والولاء له والدفاع عنه وعن مصالحه .. كل ذلك يهيئ الطالب تهيئة طبيعية ، تساعده على تكوين العواطف التى يستطيع أن يعيش على نهجها فى المجتمع الخارجى حياة سعيدة نشطة وفعالة لصالح الفرد ولصالح مجتمعه .

وتعمل أيضا هذه المدرسة خارج قاعة الدرس على تربية طلابها تربية اجتماعية ؛ إذ تهيئ الجو المناسب للجمعيات المختلفة من عملية رياضية وأخرى خاصة بالهوايات إلخ .. تلك التى تفسح للطلاب مجال الأعمال المتنوعة وتساعدهم على تكوين الصفات الخلقية المختلفة الضرورية للحياة فى الجماعة الكبيرة ، كما أنها تعمل على الربط بينها وبين البيئة والتفاعل معها .

ولا شك أن فتح أبواب المدرسة لخدمة البيئة تعتبر خطة مهمة فى سبيل توفير الاطمئنان النفسى للطالب وذويه على السواء ؛ حتى لا يشعر بأنه فى مكان مقفل بل إنه امتداد للمنزل ، فلا يهرع إلى خارج المدرسة حتى يسمع ناقوس آخر حصة ،

ومن جهة أخرى .. فإنها تتيح الفرصة للآباء والأمهات أن يدخلوا المدرسة فى أوقات معينة كى يتشاوروا أو يتناقشوا أو يتدارسوا مشكلات أبنائهم التربوية أو ليتلقوا محاضرات أو ليستمعوا ويستمعوا ببرامج مختلفة مرسومة ، أو غير ذلك من سائر ألوان النشاط والخدمات .

وتقع على المدرسة مسئوليات اجتماعية كبيرة ؛ حيث تتشكل شخصية الطفل والشاب ؛ مما يتطلب توجيههم توجيها سليما ؛ الأمر الذى يحتم على المدرسة وظائف خاصة ، للأسباب الآتية :

١- أن المدرسة يجب أن تساهم بأوفر نصيب فى إعداد المواطن الصالح ؛ إذ إنها تضم شبابا يجتازون مراحل نمو نفسى واجتماعى وجسمى سريع ، تتطلب رعاية مستمرة وتوجيها واعيا .

٢- أن المواطن الصالح يبدأ تكوينه منذ طفولته الأولى ولا يخفى صعوبة قيام الأسرة فى الوقت الحاضر بأداء رسالتها فى هذا السبيل ؛ نتيجة لعدم معرفتها للأسس التربوية السليمة ، وبذلك أصبح من مسئولية المدرسة سد هذا النقص إلى حد كبير .

٣- أن الطالب فى الوقت الحاضر يجتاز المرحلة الابتدائية ، دون أن ينال فيها إشرافا وتوجيها اجتماعيا سليما ثم ينتقل إلى المرحلة المتوسطة فالمرحلة الثانوية ؛ حيث ينقصه الإعداد الاجتماعى الكامل الذى يتناسب مع مرحلة نموه ؛ مما يزيد من أهمية العبء الملقى على عاتق المدرسة الثانوية فى سبيل استكمال نواحى التربية الاجتماعية ، التى لم تتوافر له فى الأسرة أو فى المرحلة الابتدائية أو المتوسطة .

٤- أن المدرسة هى همزة الوصل بين الأسرة والمجتمع العام . والمدرسة الثانوية هى التى تمثل ذلك دون شك . فالطالب فى هذه المرحلة يبدأ يحس بكيانه وفرديته .

كما يبدأ فى محاولة التحرر من سلطة الأسرة ؛ فهو فى حاجة إلى الفطام النفسى وإلى التدريب على الاعتماد على النفس . وفى تحمل المسئوليات فى الحياة الاجتماعية . كما أنه يبدأ فى النظر إلى المجتمع نظرة أوسع أفقا من ذى قبل ، وغالبا لا تنتهى تلك المرحلة فى حياة الشباب ؛ حتى يكون قد رسم لنفسه خطة فى الحياة يرتضيها لنفسه ، والمدرسة الثانوية هى المسئولة عن توفير الاستقرار ، الذى يطبع حياته بطابع ثابت مدى حياته .

التنظيم الاجتماعى فى المدرسة :

لا شك أن أحسن المفاهيم التى توضع ، وأن أجمل الأهداف التى تحدد وأبدع الطرق التى تستحدث وأغنى أوجه النشاط ، التى ترسم كل هذه المعالم لا يمكن أن تأتى بثمراتها المرجوة ، ما لم يتوافر فى المدارس تنظيم اجتماعى سليم يعين على تنفيذ هذا كله ، وعلى الوصول بالعملية التعليمية إلى ما ينشده المجتمع منها من صلاح .

ويعتبر الجو الاجتماعى فى المدرسة من المصطلحات التى استحدث كيانها من علم الاجتماع وأبحاث علم النفس الاجتماعى وتطبيقاتها التربوية . ودخلت ميدان التربية الحديثة ؛ إذ وجهت هذه الأبحاث أنظار المشتغلين بالتربية إلى ضرورة الاهتمام بالجو الاجتماعى فى المدرسة باعتباره عاملا مهما فى صحة المدرسين النفسية ، وفى تكوين شخصية التلاميذ واتجاهاتهم وميولهم ، وفى إكسابهم الخبرات المحببة فى المدرسة والتى تفيد فى الحياة . وبالتالى فى نجاح عملية التعليم .

ويتمثل الجو الاجتماعى فى المدرسة فى العلاقات المنظمة القائمة بين مجموع أفراد المجتمع من إداريين ومدرسين وتلاميذ ، ومن يتصل بهؤلاء جميعا من أولياء أمور التلاميذ ومن المجتمع المحيط بالمدرسة ومن ممثلى السلطات المحلية والمركزية

المشرفة على التعليم وهذه العلاقات المتشابكة والمتضافرة فى الوقت نفسه لا تجرى عشوائيا ، وإنما يتحكم فى روابطها وتحديد قوتها وطابعها ومداها دستور المدرسة الذى يتمثل فى القرارات وفى التعليمات التى تسير عليها المدرسة ، وكيفية وضع هذه القرارات والتعليمات ، ومن الذين يشتركون فى وضعها وهى التقاليد والقيم ، التى تجرى على هداها والأساليب التى تتبع ، والحقوق والواجبات التى تمارس والمسئوليات التى يضطلع بها .

ولذا كانت الدساتير العامة تختلف من دولة إلى دولة حسب الفلسفة التى ارتضتها كل دولة وكل أمة لنفسها .. ومن ثم ، فإن دساتير المدارس التى تحدد نوع العلاقات بين أفراد المجتمع المدرسى تختلف من مدرسة إلى أخرى ، كذلك حسب الفلسفة التربوية التى تسير عليها والتى تستمد مقوماتها عادة من فلسفة المجتمع ، الذى تعيش فى أحضانه .

وهنا يمكننا أن نميز ثلاث أنماط من الدساتير الرئيسية ، التى يمثل كل منها نمطا يتحدد فى رعاية نوع العلاقات الاجتماعية بين أفراد أى جماعة تخضع له ، سواء كانت هذه الجماعة كبيرة ممثلة فى شعب أو أمة ، أو صغيرة ممثلة فى أسرة أو مدرسة .

وهذه الأنماط الثلاثة هى :

١- النمط الدكتاتورى .

٢- نمط الحرية المطلقة .

٣- النمط الديمقراطى .

وعلينا الآن أن نتناول بالتحليل هذه الأنماط الثلاثة ، كلا على حدة من النواحى التعليمية والاجتماعية .

أولا : النمط الدكتاتورى :

ويقوم هذا النمط على المبادئ الآتية :

١- تركيز السلطة فى يد شخص أو هيئة عليا ، تعتبر نفسها صاحبة السيادة المطلقة والحاكمة بأمرها ، وأنها فوق المحكومين .

٢- هذه السلطة شديدة الاعتداد بإرادتها على إدارة الشئون المختلفة وتوجيه الأمور ، عديمة الثقة فى ذكاء المحكومين واستعداداتهم وقدرتهم على الإسهام فى تدبير الشئون العامة .

٣- تعمل هذه السلطة المستبدة ما تريده هى ، لا ما يراه الناس ، وما تعتقد أنه الصحيح دون اعتبار لرأى الغير ، وتنظر إلى الأفراد على أنهم آلات تحركها كما تشاء ، دون أن يعرف هؤلاء الهدف الذى يتجهون إليه ؛ إذ يكفى أن يكون هذا الهدف واضحا فى رأس السلطة المستبدة .

٤- يستتبع هذا كله فرض السلطة المستبدة نظاما صارما جامدا يخنق الحريات ؛ إذ تعتقد هذه السلطة أن النظام والحرية طرفا نقيض ، فالنظام لا يكون إلا إذا انعدمت الحرية ، وعلى ذلك فواجب الأفراد الطاعة العمياء ، دون إبداء الرأى .

٥- تلجأ هذه السلطة المستبدة لتطبيق وتحقيق ذلك إلى شتى وسائل القمع والإرهاب والتهديد والوعيد ، بل وإلى كثير من العذاب وتقلل من المنح والثواب ؛ إذ ساد هذا النمط مجتمعا من المجتمعات نجده ينعكس على مؤسساته التعليمية ، التى تعمل بدورها على تهيئته وتغذيته بتخريج أفراد تشربوا هذا النمط فى كنفها .. إذ يجعل المسئول عن المدرسة من نفسه يدا عليا يتركز فيها كل شىء ، فهو يتلقى الأوامر من سلطات خارجة عن جدران المدرسة لينفذها ويفرضها على المجتمع المدرسى . وفى مثل هذا الجو يتحكم فى المدرسين ، ويتحكم هؤلاء بدورهم فى التلاميذ .

ويتمثل رد الفعل لمثل هذا الوضع فى انعزال المدرسة عن المجتمع المحيط بها ، وعدم استشعار المدرسين لغة العمل المدرسى وفتور التلاميذ نحو المدرسة ، وربما كراهيتهم لها وانعدام النشاط الرياضى والاجتماعى فيها ونمو روح التحرر بينهم ؛ خصوصا إذا كانوا كبارا ونزوعهم إلى هذا التحرر بينهم خصوصا ، كلما سنحت لهم الفرصة أو تراخت يد المستبد أو غفلت عينه ، كما يتمثل فى تفشى وتسرب روح الجبن والأنانية والسلبية والتملق والوقيعة بين أفراد المجتمع المدرسى ، وتعودهم الخضوع المطلق للرؤساء فى ذلة وهوان ، وتسوقهم إلى الأعمال وعدم إفادتهم منها ؛ لعدم إتاحة الفرصة لهم للابتكار أو التفكير تفكيرا علميا سليما ، أو التعاون فيما بينهم لحل مشكلاتهم .

وربما يخفف من وطأة هذا النمط وحدته أن الدكتاتور ، ممثلا فى المسئول عن المدرسة أو بعض مساعديه ، يكون ذا شخصية جذابة مستنيرة مرنة ؛ فيعمل عقله فى كثير مما يعهد إليه ويعمل على التقرب إلى التلاميذ وسائر المدرسين وعلى امتداح أعمالهم وتشجيعهم . ويظهر الارتياح إلى نشاطهم ، ويسعى بلباقة إلى الحصول على طاعتهم له محتفظا بأسلوبه الاستبدادى ، فى مثل هذا الوضع .. تكون النتائج نفسها التى يسفر عنها النمط الدكتاتورى جملة من تعود التلاميذ السلبية والأنانية ، وحرمانهم من فرص الابتكار أو التفكير السليم .

ثانيا : نمط الحرية المطلق :

قام هذا النمط ثورة على الأسلوب السابق ، إلا أنه جاء متطرفا فنادى بترك الحبل على الغارب للتلاميذ ، يفعلون ما يشاءون حتى أنه ضن عليهم بالتوجيه والإرشاد وتركهم لميولهم وأهوائهم ونزعاتهم .

ولقد ساد هذا النمط بعض المدارس وقت من الأوقات ؛ حسبانا بأن فى ذلك إصلاحا لما نجم عن النمط الأول من فساد ، غير أنه سرعان ما ظهرت مساوئ ذلك

عند تطبيق هذا النمط المتطرف ، وبدت هذه المساوئ لا تقل خطورة عن مساوئ النمط الدكتاتورى .. ويتضح ذلك فيما يلى :

١- أحل الفوضى محل النظام الصارم ؛ إذ نظر إلى الحرية على أنها تحلل التلاميذ والمدرسة من جميع القيود ، وحطم بذلك الأوامر والقواعد الاجتماعية السليمة ؛ مما أدى إلى خلق شخصيات مائعة لا تفهم للحرية حدودا ، ولا تمتص قيما أو اتجاهات صالحة .

٢- أحل محل الأنانية التى تنجم عن السلطة المطلقة أنانية أخرى ممثلة فى أن يفعل الفرد ما يشاء متى يشاء ، وكيف يشاء دون اعتبار لمصلحة المجموع .

٣- أحل محل الكآبة والصرامة فى المدرسة اللهو والعبث ، حتى كادت المدرسة تصير مضيعة للوقت والجهد والمال .

٤- أحل محل الخضوع والتبعية والسير فى ركاب الغير ، وفق هدف الغير والخضوع لهوى النفس ونزعاتها الطارئة ، دون هدف أو خطة .

ثالثا : النمط الديمقراطى :

ويقوم هذا النمط على الإيمان بقيمة الفرد بحكم كونه إنسانا له قيمته واحترامه فى المجتمع وله شخصيته الفريدة ، وله القدرة على التفكير والابتكار والتمييز بأشكال وقدرات متفاوتة ؛ مما يؤهله لتصريف شئون نفسه بنفسه ، والاشتراك بمقدار فى تحديد أهداف الجماعة ورسم الخطة لتحقيق هذه الأهداف وتنفيذها .

كما يقوم هذا النمط على الإيمان بمبدأ التكافؤ والحرية لجميع أفراد المجتمع . وليس المقصود بالتكافؤ المساواة المطلقة لأنها غير ممكنة علميا ؛ إذ إن قدرات الأفراد متفاوتة . وإنما المقصود بالتكافؤ هو إتاحة فرص متكافئة لجميع الأفراد فى النمو وفى الحياة ، بالإضافة إلى مساواتهم أمام القانون .. كذلك لا يقصد بالحرية هنا الحرية

المطلقة لجميع الأفراد وإزالة كافة القيود والقوانين والضوابط الاجتماعية ؛ لأن حريات الأفراد بهذه الطريقة سوف تتضارب مع بعضها بعضا ، وتحيل الجو العام إلى فوضى كتلك التى تسود النمط السابق ذكره ، ولكن المقصود بالحرية تلك الحرية التى تيسر لكل فرد النمو النفسى والاجتماعى نموا سليما فى إطار الجماعات وفى إطار المصالح المشتركة بين أفرادها . وهذا لا يتأتى إلا إذا وجدت الضوابط الاجتماعية التى توقف الفرد عند الحد الذى يتناسب ويتفق ، والصالح العام .. وهكذا لا تتعارض الحرية مع النظام .

ويترتب على هذا كله أن العلاقة بين الفرد والمجتمع تكون علاقة وظيفية منتجة قائمة من ناحية على تقدير الجماعة لقيمة الفرد وإتاحة الفرصة لتنمية مواهبه وقدراته إلى أقصى حد ممكن .. كما تقوم من ناحية أخرى على تقدير الجماعة لقيمة الفرد وإتاحة الفرصة لتنمية مواهبه وقدراته إلى أقصى حد ممكن ، وأيضا تقوم من ناحية أخرى على تقدير الفرد لمصلحة الجماعة ومراعاته إياها .

ولتحقيق هذه المبادئ ، تعتمد وسيلة المجتمع الديمقراطى على التفكير العلمى فى حل المشكلات والعقبات وعدم الالتجاء إلى العنف . والتعاون بين الأفراد تعاونا ، يستهدف الصالح العام دون أنانية أو انفراد شخص أو هيئة بمصالحها وشئونها .

ماذا تفعل المدرسة مع الكفيف :

١- احترام شخصية الفرد ، سواء كان تلميذا أو مدرسا أو أحد أفراد المدرسة من الموظفين .

٢- العمل على تنمية شخصية كل فرد ، والنظر إليها على أنها شخصية فريدة ، لها قدراتها وميولها واتجاهاتها ، التى يجب أن تتاح لها فرصة التنمية إلى أقصى حد .

٣- كل فرد حر فى تفكيره وتعبيره وفى اختيار نوع عمله ، فى حدود مصلحة الجماعة .

٤- الاعتراف بمقدرة كل فرد - حتى ولو كان تلميذا صغيرا - على تصريف شئون نفسه وعلى الإسهام فى النشاط المدرسى .

٥- التفكير العلمى هو أسلوب المدرسة فى حل مشكلاتها ، فلا تحيز ولا تعصب ولا تسرع فى إصدار الأحكام .

٦- جميع أفراد المجتمع المدرسى متساوون فى ممارسة حقوقهم ، والقيام بواجباتهم وفق قواعد المدرسة .

وهنا نتساءل .. أى نمط من الأنماط الثلاثة نرتضيه لمدارسنا ، لنحدد فى ضوئه العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المدرسى ووظائفهم .

تحدد الإجابة عن هذا السؤال آمال المجتمع العربى وأهداف التعليم فى الوقت الحاضر ، التى تتمثل فى الرغبة فى الاتجاه نحو الديمقراطية السليمة وبالتالى خلق المواطنين ، الذين يتحملون تبعاتها ويمارسونها ، ولا شك أن هذه الآمال وتلك الأهداف فى مدارسنا تتم عن طريق الجو الديمقراطى السليم ، الذى تسوده علاقات طيبة وتمارس فيها المدرسة الحياة الاجتماعية المنشودة .

دور المدرسة الحديثة فى رعاية التلاميذ :

ما دامت المدرسة الحديثة تعتبر مؤسسة تعليمية لها وظائف اجتماعية .. فإن ذلك يعنى أن خدماتها لا تقتصر على مجرد تعليم المواد الدراسية والمهارات الفنية فحسب ، وإنما تعمل مع الطالب كإنسان له احتياجاته ومشكلاته الفردية ..كذلك له رغباته فى الترابط مع زملائه فى جماعات ، كما أن له اهتماماته نحو المجتمع المدرسى أو المحيط بالمدرسة للإسهام فى نهوضه .

obeikandl.com

دور المدرسة فى رعاية التلميذ كفرد :

تسعى المدرسة الحديثة إلى خدمة التلميذ كفرد يتفاعل معه الحياة ، التى تكفل له نموا سليما فى ميوله وفى التنفيس من انفعالاته ، وفى قدرته على التعبير عن نفسه فى محيط دائرة علاقاته الإنسانية .

فالنمو فى قدرات الإنسان ، خلال مرحلة بعد مرحلة أخرى ، من الطفولة المبكرة حتى مرحلة البلوغ ، يهيئ للناشئ خلال مرحلة كبيرة حياة لا يشوبها الجمود أو التدهور ، بل حياة تظل حريصة على أن تستعيد قدرتها ورغبتها فى النمو ، ولا غرو .. فالمعروف أن الكبار غالبا ما يعتمدون على استعادة مختلف نواحى نشاطهم الطيب والمسئ منها على نتائج لخبرات طفولتهم .

ولا شك أن من أحسن الفرص التى يمكن أن تؤديها المدرسة للنشء ؛ ليكونوا صالحين ومبتكرين بنائين أن تهيئ لهم الحياة ، التى تكفل لهذه الصفات فرصة النمو المطرد من مستوى الطفولة حتى مستوى الرجولة ، ومما هو جدير بالذكر أن هناك أربعة أسس رئيسية ، تساعد على توفير الحياة الطيبة للنشء وهى :

أولا : الحاجة للأمن

وهى تتضمن الشعور بالانتماء والاطمئنان إلى تقدير الغير للفرد ، وهى حاجة لا يجوز أن تكون دليلا على الضعف أو عدم القدرة الشخصية . بل إن هذه الحاجة إذا لم تتحقق على الوجه السوى فقد تعطل النمو الانفعالى للفرد ، بل قد تعطل نموه العام .

فالحاجة للأمن خاصة مميزة للإنسان فى مختلف مراحل العمر ، متدرجة من الطفولة إلى سنوات الرجولة ، وقد تختلف الظروف التى يتبع فيها الأفراد هذه الحاجة كأعضاء فى المجتمع البشرى ، خلال فترات النمو الخبرة ولكنها تظل دائما ثابتة .

وهذه الحاجة الإنسانية للأمن واعتبار الذات لتحمل الآباء والمعلمين التحكم فى النمو الانفعالى للنشء ، ولا شك أن الجو المدرسى الذى يتيح فرصة تحقيق هذه الحاجة ، بشكل سليم ، هو الجو الذى يستطيعون فيه أن ينموا بطرق صحيحة وصحية قويمة ، وعلى هذا فالحياة الطيبة هى الحياة الآمنة ذاتها .

ثانيا : حب الاستطلاع

يعتبر حب الاستطلاع من أهم الدوافع التى تميز الطبيعة البشرية فى مختلف مراحل العمر .. بل إنه دافع أساسى للتعليم المجدى ، وهو أساس التقدم العلمى فالإنسان يكتسب كثيرا من خبراته ؛ لأن له عقلا قادرا على ملاحظة العلاقة بين الخبرات القديمة والحديثة .

ولما كان الصغار والكبار يعيشون فى عالم واقعى واحد ، كان من الواضح أن العلاقات التى يمكن أن يفهموها تتغير تبعا لمراحل نموهم كلما نضجوا .. لكن الرغبة فى اكتساب الخبرة تظل قائمة إلى الأبد .

ثالثا : الرغبة فى تطبيق العلم بالعمل

وهى خاصية من الخصائص التى يتميز بها الإنسان فهى رغبة فى النفس، عندما تكتشف شيئا جديدا فتكون تواقة لأن تقرنه بعمل ما ، حبا فى اكتساب الخبرات والحياة الإيجابية ؛ فإتيان عمل يرتبط بخبرة جديدة هو فى الواقع فعل ابتكارى ، سواء كان ذلك فى ميدان التفكير النظرى المجرد أو فى ميدان الفنون العملية .

ولا شك أن مراعاة طبيعة الدوافع والميول فى مختلف مراحل النمو أمر أساسى جدير بالاهتمام ، عندما تخطط المدرسة للحياة الطبية الكريمة .

رابعا : الاستجابة للمواقف

لعل من أهم خصائص الإنسان الصغار والكبار على حد سواء استجابتهم للمواقف المختلفة ككل وليست كجزء .. فالإنسان عبارة عن مجموعة من الأجهزة

والأعضاء المترابطة والمتفاعلة ، وليس مجرد آلة ؛ بمعنى أن ما يحدث لأى عضو من تلك الأعضاء يؤثر فى كيانه الداخلى . إن إشباع حاجاته الجسمانية والعقلية والانفعالية أمر متداخل بطريقة عضوية معقدة ؛ أى إن الحياة الطيبة للمرء هى الحياة التى يعيش فيها الإنسان صغيرا كان أم كبيرا مؤديا وظائفه المختلفة بطريقة تكاملية .

وعلى ذلك الأساس ، نستطيع أن نقول إنه لكى يحيا التلاميذ والمعلمون حياة طيبة ، يجب أن توفر المدرسة لهم جوا من المحبة والانتماء .. جوا من الهدوء والراحة ، ولأن تهيئ لهم أيضا الفرصة للتعبير ، وتطبيق ما اكتشفوه ، وما اكتسبوه من خبرات تطبيقا عمليا .

دور المدرسة فى رعاية التلميذ فى جماعاته المدرسية :

لكى تؤدى المدرسة وظيفتها الاجتماعية على الوجه الأكمل ، يجب أن تتناول الطالب الكفيف خارج الفصل كما تتناوله داخله ، أى فى أوقات فراغه .

وإذا اعتبرنا وقت الفراغ هو الحالة النفسية التى تصاحب الفرد من سعادة واستمتاع ولذة .. فعلى ذلك يتوقف وقت الفراغ على الطريقة التى يؤدى بها الإنسان عملا ما ؛ أو بمعنى آخر على الطريقة التى يشغل بها الإنسان أوقات حياته ، فالوقت الذى لا يشعر فيه الإنسان بسعادة ولذة ، سواء كان عملا أو ترويحا ، لا يحقق أهداف وقت الفراغ .

وهكذا يمكن أن يكون النشاط الواحد عملا أو واجبا بالنسبة لشخص ما ، ويمكن أن يكون ترويحا لشخص آخر . وبناء على ذلك ، يمكن القول بأن العمل والترويح يلتقيان فى دائرة متداخلة ، ولذلك نستنتج من ذلك ما يأتى :

١- لا يمكن الفصل بين ما هو وقت فراغ وما هو وقت عمل ؛ لأن هناك عناصر مشتركة متداخلة .

٢- لا يمكن تحديد وقت فراغ ، معين دون أن يوضع فى الاعتبار نوع العمل الذى يؤديه ذلك الشخص فى وقت معين ، وكذلك مشاعر الشخص نفسه ووجهة نظره الخاصة نحو ذلك العمل .

وعلى هذا الأساس ، وفى ضوء ما سبق ، يتحدد معنى وقت الفراغ بالنسبة للتلميذ .. فهو فى داخل الفصل وخارجه يحقق أهداف وقت الفراغ ، إذا ما صاحب نشاطه خلال الدرس والفسح والعطلات استجابة واستمتاع وسعادة .

وتتضح هنال مشكلة وقت الفراغ خارج الفصل عنها فى داخله ؛ لأن الطالب عادة يقصى فراغه خارج الفصل دون برامج واضحة ودون ريادة موجهة .. فإذا أردنا أن نفيد الطالب من ما بعد المدرسة إفادة سليمة ، وجب علينا توفير أنواع متعددة من النشاط يعبر من خلالها عن ميوله ونزعاته ورغباته المتعددة ، ولا شك أن النشاط الترويحى المنظم هو الوسيلة المهمة لتحقيق هذا الهدف والنشاط إما إيجابيا أو سلبيا ، فالتلميذ الكفيف الذى يستمع إلى شرح أحد الدروس مثلا ، يؤدى نشاطا سلبيا قد يصلح لإشباع غريزة حب الاستطلاع عنده عن طريق تقبله للحقائق التى يلقيها المدرس ، ولكن ذلك التلميذ الكفيف إذا حاول البحث فى تلك الحقائق بنفسه وسعى إلى ذلك بطريقته الخاصة لتطبيق الدرس النظرى عمليا ، كان معنى ذلك أن هذا النشاط إيجابيا .

أما من ناحية تقسيم النشاط إلى فردى وجماعى ، فيقصد بالنشاط الفردى هو ما يؤديه الطالب منفردا . والنشاط الجماعى هو ذلك النشاط الذى يشترك فى أدائه جماعة من الطلبة يتحدد بنوع العلاقات ، التى تقوم بين كل عضو فى الجماعة وغيره من الأعضاء .

ويمكن اعتبار كل من النشاط الفردى والنشاط الجماعى إيجابيا أو سلبيا حسب نوع النشاط ، كما يمكن أن يتحول النشاط الفردى إلى نشاط جماعى بطريقة غير

openkanoi.com

مباشرة فالرياضة مثلا نشاط فردى ، ولكن هى فى الواقع نشاط جماعى ؛ لأن جماعة الرياضة متكاتفة ومتضامنة فى مجموعة واحدة ، ويتحقق وجودها عن طريق النشاط الفردى لكل منهم .

والطالب ينتمى فى المدرسة إلى نوعين من الجماعات : جماعة الفصل وجماعة النشاط ، وجماعة الفصل هى مجموعة من الطلاب الذين ينتمون إلى وحدة دراسية بقصد اكتسابهم المعرفة والخبرة فى مستوى معين ، أما جماعة النشاط فهى جماعة ينتمى إليها الطالب ، باختباره لتحقيق رغبة أو هواية يميل إليها ، ويجد فى الجماعة متنفسا ومجالا لتحقيق هذه الرغبة أو الهواية .

دور المدرسة فى رعاية التلميذ فى المجتمع :

لم يعد هناك فرصة لكى تنزوى المدرسة فى قوقعة ، بعد أن تطورت وظيفتها فى العصر الحديث ، فأصبحت تحتل مركز الريادة التربوية والاجتماعية ، ليس فقط بين تلاميذها ولكن فى المجتمع المحيط بها .

ولقد انتهى الوقت الذى كانت الدروس فيه تلقن تلقينا ، وتفرض عليهم الواجبات المدرسية فرضا من المدرسين . وكانت نوافذ الفصول تبنى مرتفعة لتحجب عنها معالم العالم الخارجى ، وذلك العالم الذى كان التلميذ يطرحه خلف ظهره بمجرد دخوله من باب المدرسة ، وانمحت تلكم الفترة التى كان يظن فيها أن التعليم هو عملية تخزين وحشو المعلومات فى أذهان الطلاب ، لا لاستخدامها فى حل المشكلات الواقعة الحاصلة بل لاحتمال استخدامها فى مجال واسع من الخيال وفروض المستقبل .

ولقد أصبح لزاما على المدرسة اليوم أن تساير العصر ، وأن تعدل وظيفتها وتوسع مجالها .، فعليها أن تؤثر فى المجتمع بتعليم أفراده والنهوض بهم وتخرج أفرادا

عاملين متفهمين لمشكلات بلدهم ، وعليها أن تستفيد من أولياء أمور التلاميذ ومن مصادر الخبرات ، ومن مرافق المجتمع وموارده فى جعل معاملة المدرسة لتلاميذها متنافسة ومادة تعلمها حية ، وفى كسب تأييد المجتمع .

إن الجزء المهم فى الجانب الاجتماعى للتعليم هو أن المؤسسات التعليمية لا يمكن أن تؤدى وظيفتها بين أربعة جدران بل يجب أن تتعاون مع المؤسسات الخارجية فى البيئة لتؤدى هذه الوظيفة على الوجه المنشود ، وكلما كانت أكثر استجابة لحاجات بيئتها ومجتمعها ، كانت أكثر فاعلية وذات أثر عميق .

فلا يمكن أن تؤدى المدرسة وظيفتها ، دون أن يكون هناك ارتباط قوى يربطها بالبيئة التى تحيط بها على أن يكون مبنيا على أساس من التفاعل الاجتماعى ، وعلى أساس من الأخذ والعطاء ؛ فالمدرسة التى تنشدها هى تلك التى :

١- تعمل على وضع البرامج التى تعد النشء ليعيشوا حياة متوافقة فى المجتمع العصرى المتشابك .
٢- تعمل على نشر الوعى الصحيح بأغراض وأهداف المدرسة الحديثة .
٣- تهيئ الفرص لإيجاد التعاون بين الآباء والمعلمين .
٤- تنظيم برامج خدمة ورعاية ، يسهم فيها الطلاب للنهوض بالمجتمع المحيط بها .

وإذا آمنت المدرسة بنفسها وأهمية العلاقات التى تربطها بالمجتمع عامة والبيئة المحلية خاصة ، كان هذا الإيمان باعثا قويا لنهضة كل من المدرسة والمجتمع على السواء .

ولا يقتصر الأمر عند حد تبادل الخدمات بين البيئة والمدرسة ، بل يمكن للمدرسة أن تكون عاملا مهما فى تطوير تلك الخدمات ، سواء من حيث كميتها أو نوعها أو مستواها .

obeikandl.com

فالأندية والمتاحف والمعارض والمكتبات العامة ودور الصحف والإذاعة والمستشفيات والهيئات الزراعية والصناعية والجمعيات الخيرية والمؤسسات المختلفة .. كل هذا وغير هذا مما هو قائم فى المجتمع ممكن أن يؤدى للمدرسة خدمات لا يستهان بها ، سواء بتسهيل زيارة التلاميذ لبعض المؤسسات أو تدريب التلاميذ عمليا فى بعضها أو منحهم امتيازات معينة أو أجور منخفضة عن الانتقال أو الزيارة أو إمداد المدرسية بالكتب البارزة الحديثة أو لوحات أو نماذج أو أشرطة صوتية أو غير ذلك .

والذى ينبغى ذكره فى هذا الصدد هو أن تبادل الخدمات بين البيئة والمدرسة – مهما تعددت أشكاله وأساليبه – يمثل جانبا من جوانب العلاقة بينهما ، أما الجانب الآخر الذى سوف نحاول إيضاحه فهو أن هذا التبادل فى الخدمات ينبغى أن يؤدى ، فى النهاية ، إلى تطوير تلك الخدمات ، وبمعنى آخر ، فإنه يؤدى إلى إحداث تغيير اجتماعى ، إذا أقامت المدرسة علاقتها بالمجتمع على أساس من الفهم والإيمان برسالتها وبالمجتمع .

مراحل نمو الكفيف فى المدرسة

يخرج الأطفال إلى الحياة غير قادرين على ما تتطلبه حياتهم الاجتماعية من مهارات بعكس الكائنات الحية الأخرى ، التى تخلق وبها مقدرة تمكنها من ممارسة ما تتطلبه حياتها للقيام بأنواع شتى من النشاط .

والطفل عند ولادته لا يمكنه التحدث بلغة قومه ولا يستطيع مشاركة من حوله فى أبسط ما تحتاجه حياته من ملبس ومأكل وحماية ، وعلى الرغم من كونه كائنا آدميا حيا ذا طبيعة فطرية ، إلا أنه يعجز تماما عن ممارسة الحياة ، ويبدأ الطفل فى سنوات طفولته الأولى فى التدريب عن طريق الآخرين من حوله على ممارسة فنون الحياة ، ويكتسب ببطء مهارات إنسانية الواحدة تلو الأخرى ، وهى مجموعة المهارات البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية .

وفى تعبير مبسط ، نستطيع أن نعرف أن البيئة الاجتماعية هى عبارة عن تلك الجماعات العديدة التى يعيش فيها الإنسان والنظم الاجتماعية التى تحكم سلوك هذه الجماعات ؛ حيث يكتسب الفرد أنماطا سلوكية ، وقيما شخصية عن طريق هذه الجماعات التى يعيش فيها الإنسان داخل أنظمة اجتماعية معينة ، يستمدها من المجتمع .

إذا تأثير الجماعات على الفرد يرجع أولا وأخيرا إلى طبيعته التى تجعل منه كائنا اجتماعيا .. كائنا يعتمد فى حياته على الجماعة ، ويشبع حاجاته عن طريقها ، وعلى ذلك ، فإن تأثير شخصيته ونموه بالجماعة أمر لا يدعونا إلى النقاش لأن الجماعة الإنسانية لا تمنح الفرد ما يشبع حاجاته دون مقابل من جانب الفرد ، بل هى تضع له

فى نظير ذلك بعض المستويات المعينة لتصرفاته وسلوكه فى مراحل نموه المتباينة ، ولذلك فإننا نتوقع أن يصل الفرد إلى هذه المستويات إذا أراد أن ينال رضا الجماعة وتقبل الجماعة له فى الوقت نفسه ، ولكى يحصل الفرد على ذلك ، نراه يبذل قصارى جهده ويعمل جاهدا ؛ لكى يصل إلى ما تتوقعه جماعته .. هذا هو الأمر الذى يصبح بعد ذلك دافعا قويا للتغيير والنمو .

وإذا أردنا أن نحرك الشخصية ، نستطيع أن نقول إنها نتيجة للتفاعلات بين القدرات والاستعدادات الفطرية والظروف والتجارب ، التى تمر بالإنسان خلال اتصالاته بالبيئة الاجتماعية التى يعيش فيها ، ولا شك أن للشخصية الإنسانية معالم رئيسية ينميها الفرد بالتدريج ، بل نستطيع أن نقول إن هذه المعالم لا تتوقف إلا بتوقف الحياة .

والمقصود هنا من تنمية الشخصية هو ما يجد على الشخصية من تغيير وتطور فى أساليب السلوك وفى القيم التى يتبناها والميول التى تتغلب على تصرفاته وسلوكه ، ومدى استجابته للمواقف المختلفة ، ولا شك فى أن قابلية الفرد ومقدرته على تنمية شخصيته ترتبط ارتباطا كبيرا بعمره ؛ لأن الفرد كلما كان صغيرا كانت قابليته أكثر سهولة للتطور فى تنمية شخصيته ، ومزجها بأنماط جديدة فى السلوك والانفعال .

وتعتمد الشخصية التى هى مركب معقد على ثلاث دعائم ، هى :

١- الذات الدنيا .

٢- الذات .

٣- الذات العليا .

والذات الدنيا هى فى تعريف مبسط « عبارة عن مجموعة من الرغبات والدوافع التى تتطلب الإشباع ، ولا تعترف بعائق يعوقها عن الإشباع » .. لهذا فالذات الدنيا تمثل جانبا أنانيا من النفس ، ولهذا تسمى فى بعض الأحيان بالأنا .

وفى الواقع أن بعض تركيبات هذا الجانب من الشخصية تكون موجودة لدى الطفل منذ ولادته ، بينما يتأخر ظهور الجانبين الآخرين إلى ما بعد الولادة بفترات متباعدة ، ولذلك .. فإن هذا الجانب من الشخصية يكون جزءا منه فطريا ، والجزء الآخر مكتسبا ، وهنا تكون الجماعات .

ويقصد بالذات ، الإرادة ، وهى ذلك الجزء من الشخصية الذى يتنمى تدريجيا بواسطة الفرد ليمكنه الاعتماد على نفسه من إشباع رغباته ودوافعه ومن التحكم فيها، ولا شك أن نوع الإرادة التى ينميها الفرد يتوقف على نوع البيئة التى يعيش وينشأ فيها ، فهى إما إرادة ضعيفة لا يمكنها السيطرة على الدوافع ، فتطلق لها العنان بما يضع الفرد فى مشكلات كثيرة ، وإما إرادة متزنة لها القدرة على التحكم فى الرغبات والدوافع وإشباعها بالطرق المشروعة .

والجانب الثالث من الشخصية ، ويتركز فى الذات العليا ، وهى التى تقوم بدور الرقابة على الملذات والذات فى الوقت نفسه ، ولذلك تسمى أحيانا بالضمير ، وتعنى الذات العليا بالمثل والقيم ، ثم بعد ذلك تصدر أحكاما على الرغبات .. والدوافع التى تضمها الذات الدنيا ، كما أنها أيضا تصدر أحكامها على السلوك الذى تسمح به الإرادة وفق القيم التى تتبناها ، فالذات العليا إذا عبارة عن مجموع القيم والمقاييس والأحكام ، التى تستخدم فى الحكم على الرغبات والدوافع والسلوك .

وهكذا يمر الفرد بمراحل متعددة ، تنمو فيها شخصيته وتتميز كل مرحلة ببعض المميزات التى لابد لنا من الإحاطة بها وإدراك ما يستوجبه من قواعد وأسس فى العمل ، ولكل مرحلة من مراحل نمو الفرد خصائص عقلية وجسمية ووجدانية تميزها عن غيرها ، ولا يعنى تقسيمة مراحل نمو الفرد أنها مفضلة عن بعضها ، وأن

الفرد ينتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى فجأة ، ولكن كل مرحلة متصلة ومكملة للمرحلة الأخرى بل هى أكثر من ذلك امتدادا طبيعيا للمرحلة السابقة ؛ فهى إذا عملية مستمرة ومتصلة ومتطورة فى الوقت نفسه ، وتقسيمنا لمراحل نمو الفرد هى عملية القصد منها تنسيق وتسهيل وتحديد الميزات المختلفة من مرحلة إلى أخرى ؛ حيث إننا سوف نتكلم فى الأبواب التالية عن البرامج التعليمية والاجتماعية للطالب الكفيف داخل ؛ المدرسة حيث إن حديثنا يدور حول الطالب الكفيف .

obeikandl.com

البرامج التعليمية للكفيف فى المدرسة

تعليم الكفيف :

إذا حاولنا تعرف وظيفة المدرسة ، نستطيع أن نقول فى اختصار إنها إعداد وتأهيل للطلاب بالطريقة ، التى تمكنهم من المعيشة والتكيف مع الظروف الاجتماعية للحياة ، بأن يكونوا أفرادا متفوقين عقليا ولديهم الرغبة والقدرة فى العمل .

وإذا أردنا الوصول إلى تحقيق هذه الأهداف ، لابد لنا أن نلاحظ نمو الطفل الكفيف الجسمانى والعقلى منذ البداية وإعداد الفرص لهم ؛ بحيث يمكنهم من اختيار المهن المناسبة والصالحة لهم تحت رعاية وإشراف أفراد ذوى خبرة ودراية ، ويستتبع ذلك ضرورة وجود مدارس مهنية ومدارس تأهيل .

فمنذ بداية دخول التلاميذ المدرسة ، يكونون على درجات مختلفة ومتفاوتة ويتبع هذا تفاوت ويتبع هذا تفاوت واختلاف فى الطرق التى تعدها لهم . ولابد أن يكون التلاميذ المكفوفون مختلفين بشكل عام ، شأنهم شأن التلاميذ المبصرين .. فهم متفاوتون فى مستويات الفهم والإدراك وفى رغباتهم ، فقد يأتى بعضهم من منازل يسودها الرخاء الاقتصادى ، ويأتى البعض الآخر منن منازل فقيرة أو منازل يعيش فيها عدد كبير من الأخوة مما يؤثر بدرجة كبيرة على النمو الطبيعى للفرد الكفيف ، على أن بعض الآباء لديهم المقدرة على مساعدة أطفالهم المكفوفين بالمنزل قبل التحاقهم بالمدرسة ، وهناك أيضا آباء لا يوجد لديهم استعداد للقيام بمساعدة طفلهم الكفيف ، وكذلك يتمتع البعض منهم بعلاقة أبوية طيبة ؛ نتيجة لتقبل والديه له أو العكس .

يتضح لنا مما سبق أن هناك فوارق كثيرة توجد لدى التلاميذ المكفوفين عند دخولهم المدرسة ، والفوارق هنا أوضح بكثير منها عند التلاميذ المبصرين ؛ الأمر الذى يوجد صعوبة فى اختيار وسائل الإعداد ، وعلى هذا .. فإن تعليم المكفوفين يتطلب مزيدا من الاهتمام والرعاية عن المدارس الأخرى العادية ، ولهذا فإننا نرى أنه من الأفضل ألا يزيد عدد تلاميذ الفصل عن اثنى عشر تلميذا .

فالمشكلات الناتجة عن القصور فى الخبرات التعليمية البصرية غير المباشرة ، تحتم على المعلم أن يكون إنسانا فعالا وخلاقا فى الوقت نفسه حتى يجعل الخبرات فى متناول يدى الطفل ، وأن يجعل هذه الخبرات فى دائرة اهتمامه ، والمعلم الماهر هو الذى يعاون فى جعل بيئة الطفل المحيطة به عبارة عن كل اهتمام هذا الطفل ، وهو أيضا الذى يتيح فرصا حقيقية وواقعية بالنسبة للطفل الكفيف .

لذلك .. يجب أن يحوز مدرس الأطفال المكفوفين المهارات نفسها التى تتوقعها من جميع المعلمين ولجميع الأطفال ، ويجب عليه أيضا أن يحوز معرفة ومهارة بدرجة كبيرة . وبالإضافة إلى الإعداد للتعليم العام ، فإن المدرس يتطلب مهارات أساسية خاصة لتربية الأطفال المكفوفين ، وتختلف هذه المهارات فى درجتها ونوعها تبعا لمنصب المدرس ولأعمار الأطفال الذين يقوم بتدريسهم ، وللمدرسة والبيئة التى يعمل فيها . على أننا يجب ألا نغفل أن المدرس يجب أن يتفهم مشكلات الطفل الكفيف الاجتماعية والعاطفية والسيكولوجية لفقد البصر ومدى تأثيرها عليه فى تكيفه ، وتتطلب هذه المعرفة من المدرس مسئولية خلق شخصيات متميزة من الطلبة ، وعمل برامج غنية تجعل الخبرة بين يدى الأطفال ، وتفسر لهم البيئة الطبيعية عند الضرورة ؛ لأن الهدف من هذه المعاملة للطفل الكفيف ، كما هو الحال ، بالنسبة لجميع الأطفال هو نمو الطفل وتطوره لتحقق له شخصية سليمة ، وهذه الشخصية سوف تمكنه من أن يصبح رجلا متكيفا فى المستقبل .

وهناك أيضا أشياء ضرورية يجب أن يعوزها المدرسين العاملين فى مجال المكفوفين ألا وهى المرونة والمهارة والتصدى والتقبل الكامل للطفل الكفيف ، ويجب أن يسمح للطفل الكفيف بأن ينمو طبقا للنمط الخاص بشخصيته ، وأن يسمح له بمشاركة الطفل فى خبراته الحقيقية مع مدرس فاهم بهذه الأمور وواع لها ، ويتطلب هذا الفهم اهتمام المعلم للطفل وعائلته وأصدقائه ومجتمعه ، ومن الضرورى كذلك أن يكون المدرس قادرا على تقييم التيارات السائدة فى التعليم العام وفى علاقتها باحتياجات الأطفال المكفوفين ، بأن نعلم الملتئمات الضرورية فى وسائل المنهج وبرامجه . ويجب أن يعد المدرس أيضا إعدادا سليما قويا ؛ حتى يتمكن من الاستفادة من أكثر المصادر المناسبة والمهمة لتطوير برامج الأطفال المكفوفين ، ويتطلب هذا العمل مقدرة المدرس أن يعمل كعضو فى فريق من الفرق ، مستخدما فى ذلك جميع الخدمات الممكنة من المنظمات التعليمية والاتجاهات المناسبة ومن مصادر المجتمع .

وهناك بعض العوامل التى يتعين على المدرس معرفتها ، مثل :

١- زمن إصابة الطفل .

٢- هل الإصابة مكتسبة أم وراثية .

٣- اكتشاف التغيرات التى تطرأ على حياة الطفل اليومية ، ومدى تقدمه .

٤- فهم الصعوبات المختلفة الناتجة عن فقد البصر .

٥- تمييز بعض الظروف الجسمية ، التى يكون لها تأثير على تحصيل التلميذ ونموه الشخصى الاجتماعى .

بالإضافة إلى ما سبق ، يجب على المدرس أن يتحدث إلى الآباء ويبين لهم مدى تقدم الطفل أو تأخره واستجابته للمواقف والعوائق ، التى تعترض حياته فى المدرسة وسلوك الطفل ؛ إذ إن هذه المواقف سوف تساعد كلا من المدرس والآباء على

openkandil.com

مساعدة الطفل ؛ لكى يصل إلى درجة حسنة من التقبل والتقدم والوصول إلى أعلى درجة من التعليم .

وما من شك فى أن مدرس الأطفال المكفوفين يجب أن يكون قادرا على توضيح فائدة كل من أدوات القراءة والكتابة ، وأن يكون فاهما لأهميتها بالنسبة للطفل الكفيف ، ومدركا أن طريقة برايل توفر أفضل مصادر العلم للكفيف فضلا عن أنها الأداة الوحيدة ، الآن ، التى تمد الطفل الكفيف بسجل دائم ذاخر من المعلومات ، على المدرس أيضا أن يدرك أهمية تعليم الآلة الكاتبة لأنها وسيلة مهمة فى المكاتبات، وعلى المدرس أيضا أن يكون ملم بما يأتى إلماما تاما :

١- إجادة الكتابة والقراءة بطريقة برايل .

٢- التحقق من المواد الممكنة فى طريقة برايل والتى تناسب الاحتياجات الأساسية للطفل الكفيف ، والمهارة فى ملاءمة المادة لمواجهة الحاجات الفردية .

٣- المقدرة فى تعريف التلميذ الكفيف قيمة طريقة برايل ، وأنها أداة لامتداد خبراته ومحصل فكرى له .

٤- معرفة مواد برايل المختلفة مثل الرياضيات واللغات الأجنبية والموسيقى .

٥- استعداد الطفل العقلى والعلمى ، ومدى تقبله وإقباله على التحصيل العلمى .

ملاءمة المنهج وتكييف البرامج :

يستطيع المدرس أن يستفيد من أحاسيس الطفل الموجودة لديه ، واضعا فى الاعتبار معلوماته عن الدوافع الشخصية والعوامل النفسية التى تتصل بالنظم المتصلة بالتعليم ، ولهذا .. فإنه من الواجب اعتبار التلميذ الكفيف فردا مستقلا بذاته بصفاته الجسمية والعقلية والاختلافات فى بناء شخصيته ، ولذلك فإن الأساليب المنهجية تنتشر بفضل التفسير القيمى للمقاييس الموضوعية ، التى يمكن تطبيقها على الأطفال

المكفوفين . وعلى المدرس أن يكون على قسط كبير من المهارة فى تقييم مفاهيم الأطفال عند تنفيذ بعض المشروعات أو التنظيمات .. كذلك يجب على المدرس أيضا أن يكون جيد الاتصال والمشاركة مع الأطفال المكفوفين فى الأفكار الخلاقة والأحداث الواقعية التى تعتبر جزءا من هذا المشروع ، وتعتبر فى الوقت نفسه أساسية للخطة الواقعية للمنهج .

وعلى المدرس أيضا أن يكون متيقظا لاستعدادات التلميذ الكفيف للقراءة ومعرفته بأن هذا الطفل حرم من المثيرات البصرية ، التى تتيح للأطفال منذ نشأتهم فرص التعليم .. لذلك عليه أن يواصل إحساسه لهذه الحقيقة ، وأن يشبع هذه الحاجة لدى الطفل لأنها تربط الطفل ببيئته ، وعندما تضع قدرة الطفل فى المشاركة على هذه الخبرات .. وعندما يشعر بالطمأنينة ، عندئذ يكون المدرس متأهبا لأن يضع فى الاعتبار العوامل الأساسية فى تطوير برامج قراءة برايل .

ولما كانت طريقة برايل فى القراءة والكتابة تسبب عند بعض التلاميذ إجهادا ؛ لذلك يجب أن يتحقق المدرس من حد العناء والإجهاد بالنسبة لكل طفل .

ولما كانت كتابة برايل تتطلب أيضا تنظيما عقليا ؛ لذلك على المدرس أن يطور هذا البرنامج فى جو من العون والاطمئنان ؛ لأن كتابة برايل تتطلب من التلميذ الكفيف إجهادا جسميا أكبر مما تتطلبه الكتابة العادية .

والمدرس الذى يتطلب موقفه أن يطور برنامجا للتلاميذ المكفوفين فى المدرسة ، عليه أن يكون قاصرا على تحديد استعداد الطفل الكفيف للمزيد من خبرات الأرقام المعادة ، ويجب أن يقدم هذه الخبرات على ضوء ما يعرفه الطفل حقيقة ، وأن تكون ذا صلة ببيئة الطفل العادية الطبيعية التى يدركها .

وهناك بعض الموضوعات الأخرى التى تحتاج إلى قسط وافر من التعبير مثل الطبيعيات والاقتصاد المنزلى كالطعام وإعداد الملابس والعناية بها .. لكل ذلك يجب

أن تكون للمدرس مهارة كبيرة فى أن يحصل من الطفل على استجابة كاملة لكل هذه المواقف بأن يهيئ له برنامجا كاملا وفعالا فى التربية البدنية والتعليم المهنى والفنون والاقتصاد ... إلخ .

وعلينا أن نراعى درجات الاختلاف فى قدرة الأطفال المكفوفين فى تفسير بيئاتهم الطبيعية وفى توجيه قدراتهم الجسمية العامة ، وأن يتعرض الطفل لأنوع النشاط التى تسودها الحرية ، وبهذا يستمر صقل المهارات الأساسية بالنسبة للتوجيه الجسمى للأطفال ، ويجب أن يكون المدرس ماهرا بوجه خاص فى تنمية وعى الطفل الكفيف فى المجتمعات ، التى يقبل فيها الناس على مساعدة الطفل الكفيف مساعدة وفائدة ؛ لمنع ميول الطفل إلى الحصول على المزيد من الخدمات .

وتعتبر تنمية المهارات الترفيهية أساسا لمساعدته فى الحياة العملية العادية ، وهى تعنى أيضا أن الطفل الكفيف إذا كان مضطرا لطلب المعونة أو المساعدة .. فإنه يتقبله بامتنان وتقدير ، وأنه عندما لا يكون فى حاجة لها ، فإنه يرفضها أيضا بالتقدير والامتنان نفسه .

ولا شك أن المدرسين مجتمعين يستطيعون تلقين المهارات ، التى يتوقف عليها نجاح الطفل الكفيف فى الحياة ، وليس هناك مدرس واحد يقع عليه هذا العبء .

وهكذا وبحكم اتصال المدرس المباشر بحياة التلميذ الكفيف ، يستطيع المدرس أن يرى موضوعات البرامج الموضوعة فى ضوء صلتها بخدمات التأهيل للتلميذ فى المستقبل ، وكذلك فى ضوء الأوضاع الاجتماعية العامة .

وهناك بعض العناصر التى يجب أن تتوافر لدى المدرس ، وهى :

(أ) أن يكون شغوفا بمهنته ، مؤمنا بها وحريصا على أن يكون متحمسا ومخلصا لها .

(ب) يجب أن يكون ميالا للتجديد والتماشى مع الاتجاهات الحديثة للتربية .

(جـ) يجب أن تكون لديه القدرة على الابتكار واتباع الأساليب المختلفة ؛ للوصول إلى غرضه .

القراءة والكتابة للطفل الكفيف :

لا توجد مادة فى المنهج الخاص بالتلاميذ المكفوفين ذات تأثير أساسى وواضح لنجاح الطفل العام ، مثل القراءة من أثر ، فالكتب تستخدم أول الأمر بغرض جمع المعلومات فى كل ميادين المعرفة ، وهذه العملية ما هى إلا عملية ضرورية وأساسية لسعادة الأطفال المكفوفين وبغرض تقدمهم فى المجال العلمى وفى التحصيل الثقافى .

ومن العوامل التى تساعد فى حل هذه المشكلات هو عامل الاستعداد للقراءة ؛ فبعض صغار الأطفال من المكفوفين لديهم استعداد لتعلم القراءة ، بمجرد دخولهم المدرسة ، وبدء هذا النشاط من المرحلة المبكرة من النمو يضع على عائلاتهم وعليهم مشكلات ومسئوليات عقلية وآلية ، أكبر مما يستطيعون مواجهته وتحمله ، ومثل هذا الوضع قد يتسبب عنه فى أغلب الحالات كراهية الطفل الكفيف للكتب بوجه عام .

وتشمل بعض الإشارات للاستدلال على استعداد الطفل للقراءة على ما يأتى :

١- معرفة الأشياء المألوفة فى محيط الطفل .

٢- القدرة على الفهم والاستمتاع بالقصص والأناشيد المناسبة لهذه المهن .

٣- القدرة والرغبة فى الاستمتاع لما يقوله الآخرون .

٤- القدرة على التعاون مع الجماعة .

٥- القدرة على تذكر بعض الأناشيد الخفيفة .

٦- اهتمام قوى بالقراءة وإبداء الرغبة فى ذلك .

٧- القدرة على تذكر الخبرات .

٨- القدرة على تمييز وتتبع بعض الأحداث .

وتستخدم ثلاث طرق لتعليم الأطفال المكفوفين القراءة ، وهى :

١- طريقة الحروف .

٢- طريقة الحروف والكلمات .

٣- طريقة الكلمات .

وتعتبر الطريقة الأولى الحرف هو وحدة القراءة ، ويقول البعض إن أصبع الطفل الكفيف لا يمكنه ، إلا تغطية حرف واحد ، لذلك فإنه لا يمكنه إلا قراءة هذا الحرف فى الوقت الذى يكون إصبعه عليه ، وفى هذه الحالة يصبح اهتمام الطفل متركزا فى عملية آلية للقراءة ، وعلى نمط قراءة الحرف ، باعتباره وحدة القراءة ، وتنتقل آلية القراءة إلى محتوى القراءة عن طريق الكلمة .

وطريقة قراءة الكلمات تعلم الطفل الكفيف منذ البداية تمييز الكلمات ككل ، بغض النظر إلى مكوناتها الجزئية من الحروف ، وبذلك تصب اهتمامها على الأفكار والمعانى .

وقد تنجح الطريقتان الأولى والثانية مع الأطفال غير الأذكياء فى بعض الأحيان، وهؤلاء الأطفال لا يستطيعون إدراك الاختلاف بين الكلمات بطريقة برايل ككليات وتمييزها ، ولكنهم يستطيعون أن يتعلموا الوحدات الأصغر (الحروف) عن طريق هجاء الكلمات .

والواقع أن أغلب الأطفال المكفوفين من التلاميذ يتعلمون بسرعة تمييز الكلمات ككل عن طريق أشكالها ، وطالما بدأوا بداية حسنة .. فإنهم نادرا ما يفكرون فى أجزاء الكلمات ، وتعتبر طريقة الكلمات الطريقتين السابقتين ؛ لأنها تضع وتركز أول الأمر الاهتمام والانتباه على المحتوى ، وتجعل الطفل يتلقى فى عملية القراءة بمعان وليست برموز .

وإذا أردنا أن يحصل الطفل على معان من قراءته ، فعلينا واجب تمييزه للكلمات وربط صورها الحسية بأصواتها ومعانيها وهذه العملية تواجه الطفل الكفيف مرة واحدة عند استخدام الكتب ، ولكن عندما تستخدم الخبرة كمدخل بناء ثروة لغوية للقراءة .. فإن الأصوات والمعانى تكون معروفة فعلا للطفل ، ولا يحتاج إلا لأن يربطها بأشكالها بطريقة برايل ، وهذه عملية بسيطة وسهلة فى الوقت نفسه .

لذلك .. فمن الواجب تأجيل عملية القراءة من الكتب إلى أن يتم تعليم الطفل الكفيف جزء الثروة اللغوية عن طريق بطاقات يكتب عليها كلمات أو جملا بسيطة أو قصص أو بعض الألعاب الأخرى ، وعندما يبدأ الأطفال فى استخدام الكتب تكون معانى الكلمات وتكوينها وأصواتها مألوفة كلها للطفل ، ومهما كان الوضع الذى تأتى فيه هذه الكلمات .. فإن هذه الكلمات فى استطاعة الأطفال .. تفسيرها وتمييزها .

ولقد وجد فى تعليم برايل أن من الأفضل تقديم الحروف الهجائية حسب ترتيب صعوبتها وتكرارها ؛ ولذلك فمن الواجب البدء بالأشكال السهلة وترك الأكثر صعوبة حتى تنمى حاسة اللمس عند الطفل ، ويمكن أن تساير الأشكال المعقدة فى الحروف . ومن الوسائل المشجعة للأطفال فى القراءة هو نجاحهم فى قراءة الكلمات السهلة فى بداية تعليمهم ، ولذلك .. فمن المستحسن أن يبدأ الطفل فى تعليم الحروف التى يسهل لمسها وتعلمها ، والتى لها فائدة فى تركيب وبناء الكلمات ، ولا شك أن تعلم الرموز تنمى أيضا حاسة اللمس عند الأطفال المكفوفين وتزويدهم مهارة فى القراءة ، ويقل بالتالى احتمال الخلط بين بعض الحروف ، ولكن لا يمكن تجنب الخلط كلية .. ويرجع هذا إلى ضعف فى بناء وفى تركيب طريقة برايل .

ولا شك أن الوضع الصحيح للجسم والأيدى والأصابع أثناء القراءة هو من أهم الصفات والعمليات الفعالة فى القراءة ، وتحتاج هذه العملية إلى عناية وتوجيه

كبير منذ البداية ، بل يجب أن يواصل المدرس هذا التوجيه فيما بعد حتى لا يهمله الطفل ، ويجب أيضا أن يجلس القارئ فى وضع مريح ، ويوضع الكتاب على سطح المكتب أو المنضدة ؛ إذ يجب أن يكون أفقيا وعلى ارتفاع يقل عن مستوى كوع الفرد ؛ لأن عملية اللمس يجب أن تكون دقيقة ، ولذلك يجب عدم تعليم الأطفال القراءة عن طريق اللوحات المعدنية .

ويجب أن يتم تعليم الاختصارات فى الكلمات وفقا للآتى :

(أ) أن يتعلمه الطفل الكفيف كجزء من تعلم القراءة ، وليس منعزلا عنها .

(ب) يجب تمييز الاختصارات وتعلمها كأشكال مكتملة .

(ب) يجب تمييز الاختصارات بالتدريج ، وفى الترتيب الذى يواجه احتياجات نمو المهارة فى القراءة ، وفى الثروة اللغوية .

ويجب أن يأخذ تعليم الاختصارات وقتا طويلا حتى يمكن للطفل هضم هذه الاختصارات وتعلمها جيدا ، وقد يصدم الأطفال بالتغيير الملحوظ عند تعلمهم للاختصارات ؛ لعدم العلامات الجديدة والكبيرة التى تحويها الاختصارات ، وبالإضافة إلى ذلك .. يجب على المدرسين الذين يعملون فى مدرسة أو مؤسسة واحدة أن يتفقوا على طريقة واحدة لتعليم الاختصارات للأطفال فى جميع الفصول ، ويعتمد التدريس الناجح للقراءة – إلى حد كبير – على عمل هيئة التدريس ، والذى يجب أن يتميز بالتنسيق والتعاون والتنظيم العام لبرامج القراءة .

تدريس الحساب للطفل الكفيف :

هناك بعض العقبات والمشكلات التى نواجهها فى تدريس الحساب فى المدرسة الابتدائية للمكفوفين .. هذه المشكلات لا تظهر فى المدرسة الابتدائية للأطفال

المبصرين ؛ لذلك يجب على المدرس الذى يعمل مع التلاميذ المكفوفين أن يكيف ويعدل أساليب تدريس الحساب ، كما هو الحال فى المواد الأخرى ، بما يواجه احتياجات التلاميذ ، ويستطيع المدرس أن يبدأ بمحاولة لفظية لشرح العملية الحسابية الجديدة ، ولكنه لا يستطيع أن يوضح الأمر بسهولة لجميع التلاميذ فى الفصل بصورة مرضية ، ويمكن للتلاميذ حل بعض التمرينات التى يمليها المدرس وهكذا ، حتى يمكن استيعاب القاعدة الحسابية ، ويتم ذلك فى أغلب الأحيان ببطء ، لاسيما إذا كان عدد الطلبة فى الفصل الواحد كبيرا ، ومن واجب المدرس إعطاء الفرصة لكل تلميذ لحل ما يواجهه من الصعوبات ، ولكى يمكن تحقيق التقدم إلى أقصى حد ممكن .. لذلك يجد المدرس لزاما عليه ضرورة تقسيم الفصل إلى مجموعات صغيرة .

وتعتبر مادة الحساب من المواد التى يستطيع فيها التلميذ الكفيف من منافسة التلميذ المبصر ، أو يتساويان على الأقل فى فهمهما .

ويحتاج الطفل الكفيف فى المرحلة الابتدائية إلى نوع من الحساب الذى يفيده فى حياته العملية اليومية ؛ لمساعدته فى اكتساب الثقة فى علاقاته اليومية بالآخرين ، ومن هنا كان لمادة الحساب دورها فى نمو شخصية الكفيف وتطوره ، بالإضافة إلى علاقة مادة الحساب بالمواد الأخرى .

ويهدف الاتجاه السليم فى التعليم المناسب للطفل الكفيف إلى العمل على تزويده بقدر مناسب من القدرات والمعلومات الأساسية ، ويعتبر هذا الاتجاه هو الاتجاه السائد فى العالم العربى ، بل وفى العالم ، والذى يطبق فعلا فى مجال رعاية الأطفال المكفوفين ، وحتى فى الأماكن التى لم يطبق فيها بعد .. فهناك محاولات تبذل للأخذ به ، وهذا القدر من المعلومات الأساسية التى تقدم للطالب الكفيف ، إنما يتوقف على مدى الاحتياجات العامة فى الدولة وعلى إمكاناتها الاقتصادية .

ويجب أن يكون الهدف من تعليم المكفوفين ، سواء فى القراءة أو فى الكتابة أو الحساب أو غير ذلك من المواد ، أن يكون تزويدهم بتعليم أساسى أفضل من الذى يحصل عليه المبصرين أو مساواة على الأقل . وذلك أنه كلما أكثر الكفيف من رفع وتهذيب مستوى إدراكه عن الذين يحيطون به ، أمكنه أن يحقق نجاحا كبيرا فى حياته، وأن يكون حصوله على عمل أسهل بكثير عن ذى قبل ، وكذلك فهو بالتعليم يستطيع أن يكتسب احترام وتقدير الآخرين .

ومما لا شك فيه أن الفرد الكفيف عندما يشعر بأن مستوى إدراكه أفضل من مماثليه من المبصرين فى المجتمع ، فإن ذلك يعطيه الثقة بالنفس اللازمة له فى حياته والثقة فى قدراته ؛ حيث يمكنه اجتياز الصعوبات التى تواجهه .

obeikandl.com

البرامج الاجتماعية للكفيف فى المدرسة

فلسفة النشاط الاجتماعى :

تقوم فلسفة النشاط الاجتماعى على أساس أن الإنسان اجتماعى بطبعه .. ولذلك ، فإن عليه أن يكيف نفسه مع الجماعات المختلفة بهذا المجتمع ؛ حتى يستطيع أن يحصل على احتياجاته ومطالبه .

وحيث إن إشباع هذه الحاجات والمطالب وفق مصطلحات الجماعة يعتبر أمرا ضروريا بالنسبة للفرد والمجتمع على حد سواء .. لذلك كان من الضرورى أن تقوم العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع ، ومن الضرورى أيضا أن تشمل هذه العلاقات التعاون الاجتماعى والعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية الصالحة ، سواء كان ذلك فى الأسرة أو فى المدرسة أو فى العمل .

وبناء على ذلك يمكننا تلخيص الأسس العامة للنشاط الاجتماعى كما يأتى :

١- الوصول إلى التكيف الاجتماعى بين الفرد ونفسه وبقية أفراد المجتمع والجماعات التى ينضم إليها ، ومن الجماعات المختلفة .

٢- تقديم المعونات الفردية للأفراد والجماعات لمواجهة ما يبدو منها فى شكل صعوبات ، أو مشكلات تقابلهم فى حياتهم اليومية ؛ نتيجة لاتصالهم بغيرهم من الأفراد والجماعات ووظيفتهم من أسباب الانحراف .

٣- تقوم البرامج المختلفة التى تمارس على أساس من الديمقراطية ، التى تعترف بالفرد والجماعة بحق تقرير المصير .

الوسائل المختلفة لأهداف النشاط الاجتماعى :

(أ) خدمة الفرد كأفراد :

يتميز كل فرد بفرديته التى تختلف عن الآخرين ؛ حيث يكون له استعداداته وقدراته واتجاهاته الخاصة وفق العوامل الوراثية التى يتوارثها الفرد ، والظروف البيئية والاجتماعية التى يعيشها والتى أحاطت به ، ولذلك .. فإن دور النشاط الاجتماعى فى هذه الحالة هو مساعدة الفرد على تنمية هذه الاستعدادات ؛ بحيث تصل إلى القمة وكذلك العمل على تعديل اتجاهاته ؛ بحيث تتناسب مع البيئة التى يعيش فيها .

(ب) خدمة الأفراد فى جماعات :

إن الحياة الجماعية المنظمة هى التى تتيح للأفراد فرص النمو الاجتماعى السليم، والمستقبل المشرق أو المظلم للأفراد إنما يقع على عاتق هذه الجماعات ومدى صلاحيتها ؛ لتنشئة هؤلاء الأفراد تنشئة سليمة يكتسبون من خلالها المبادئ الإنسانية والقيم الأخلاقية ، وهذا يتطلب منا توجيه الأفراد داخل الجماعة لاستغلال قدراتهم ومواهبهم والقيام بأعمال ، ينالون عن طريقها الاستجابات المختلفة من زملائهم بحيث يشعرون أنهم قد نالوا تقدير الجماعة .. الأمر الذى يجعلهم أكثر إتقانا للأعمال التى تكسبه نموا فى الخصائص التى يرغب المجتمع فى إكسابها للأفراد .

دور النشاط الاجتماعى مع التلميذ الكفيف :

إن فلسفة النشاط الاجتماعى الذى يقدم للمكفوفين لا تخرج عن إطار الفلسفة التى يسعى إليها النشاط ، وهى إعداد المواطن الصالح الذى يشعر بعضويته فى المجتمع ، والذى يشعر بأن له حقوقه التى يتقاضاها وواجباته التى يؤديها .

ويهدف النشاط الاجتماعى فى محيط المكفوفين إلى معاونة الفرد الكفيف على نمو شخصيته نموا متكافئا فى أركانها المختلفة ، وتشكيل هذه الشخصية بالصورة الملائمة التى تتناسب مع المجتمع الذى يعيش فيه الفرد الكفيف عن طريق إتاحة الفرص لهذا الفرد ؛ كى يعيش جوا منظما ، يستطيع من خلاله أن يمارس ألوان الحياة الجماعية المختلفة ، التى تقابل احتياجاته وتساعده على النمو بشخصيته فى وسط جماعة متجانسة ، من حيث : ظروف عاهته التى أصيب بها ، ومرحلة نموه الزمنى والعقلى .

وتكون هذه الجماعة أداة فعالة فى تزويده بالمعونة والخبرة التى يحتاج إليها فى حياته ، كما أنها تكون مصدرا للطمأنينة والأمن التى تتوق نفسه إليها ، وعلاوة على ذلك ، فإن وجود الفرد الكفيف بين هذه الجماعة المتجانسة إنما يساعده على الشعور بقدراته وتبعد عنه الإحساس بالعجز والشعور بالنقص أو الاعتماد على الآخرين ، وتجعله يحس بإمكانياته بالنجاح فى كثير من الأعمال التى يؤديها المبصرون فى الجماعات الأخرى واستمتاعه بها مثلهم تماما .

ومن الممكن تلخيص الاعتبارات ، التى تجعل من الحياة الجماعية أساسا فى نمو شخصية الكفيف فيما يلى :

١- أن الإنسان كائن اجتماعى بطبعه ، ولا يستطيع أن يعيش فى عزلة عمن حوله من الأفراد الآخرين ، وأنه يحتاج لإشباع احتياجاته الأساسية فى تلك البيئة التى تتمثل فى الجماعات العديدة ، التى تحيط به والنظم الاجتماعية التى تحكم سلوك هذه الجماعات .

٢- أن الجماعة التى ينضم إليها الفرد إنما تقوم بعملية توجيه سلوكه الوجهة الاجتماعية الملائمة ، ومن ثم فإن الكفيف يتعلم عن طريقها السلوك الجماعى الملائم ، كما أنها تقوم فى الوقت نفسه بصيانة استعداداته وقدراته .

٣- أن الفرد الكفيف ينضم إلى الجماعة بمحض إرادته ورغبته ؛ ولهذا فهو يشعر بالحرية التامة داخلها .

٤- يساعد الجو الاجتماعى الكفيف فى التنفيس عن رغباته ونزعاته ، التى لا يمكنه إشباعها بمفرده بعيدا عن الجماعة ، كما أنه يعطيه فرصا أكثر قد لا تتوافر له فى غير هذا الجو ، كالتعبير عما يجيش فى نفسه كمن مخاوف أو إحساس بالقلق .

٥- نظرا لأن الجماعة تقوم لتحقيق النضج لأعضائها وإشباع رغباتهم وتحقيق أهدافهم ؛ فهى لذلك محببة إلى نفس الفرد الكفيف .

٦- تتيح الحياة الجماعية للكفيف فرصة لكى يسهم فى وضع نظم جماعته ، ومن ثم فهو يحرك هذا النظام لأنه واضعه بمشاركة بقية أعضاء الجماعة .

٧- يساعد انضمام الكفيف إلى جماعة من الجماعات الشعور بقيمة الجماعات الأخرى ؛ فهو أولا يحس بالولاء إلى جماعته ثم الجماعات الأخرى فى المجتمع بعد ذلك .

برامج النشاط الاجتماعى وأثرها فى تنمية شخصية الكفيف :

يقصد بتنمية شخصية الكفيف التنمية النفسية والاجتماعية التى تهدف إلى تخليصه من تلك العوامل والعوائق ، التى تقف فى سبيل تدريبه على الأساليب التى يحتاجها فى حياته ، وبمعنى آخر ، ما يطرأ على شخصية الكفيف من تطوير أو تغيير فى أنماط السلوك وفى القيم التى يتبناها ، والاتجاهات التى تغلب على تصرفاته واستجاباته للمواقف المختلفة ؛ نتيجة اشتراكه فى برامج النشاط المختلفة ، وعمليات التفاعل التى تحدث بينه وبين أعضاء الجماعة خلال ممارسة ألوان النشاط ، ومن الممكن إيضاح أثر برامج النشاط الاجتماعى فيما يلى :

١ـ بالنسبة لشغل أوقات الفراغ :

يحتاج الفرد الكفيف إلى الإحساس بالسرور والترويح عن نفسه فى وقت فراغه، شأنه فى ذلك شأن غيره من المبصرين ، وقد كان الاعتماد السائد قديما هو أن البصر أمر ضرورى للإحساس بالسرور خلال ممارسة الألعاب مثلا ، ولكن هذا الاتجاه لم يعد حتى فى الأوقات الماضية ، التى لم تكن وسائل الترويح عن المكفوفين قد تقدمت فيها لسبب بسيط ، ألا وهو أن كثيرا من الألعاب العقلية وألعاب المهارة اليدوية وبعض الألوان الرياضية ، كذلك الأدب والموسيقى .. كل هذه تدخل ضمن العناصر المساعدة على الشعور باللذة والسرور .

وأساليب الترويح عن المكفوفين وأصبح فى مقدرة الكفيف ممارسة ألوان مختلفة من النشاط ، ما لم يعد الهدف مجرد الحصول على اللذة ، ولكنها أصبحت تسهم بنتيجة فى نواح كثيرة فى الشخصية ؛ حيث تتيح له الإيمان بقدراته والثقة بنفسه وتساعده على التعامل فى مجتمع المبصرين ، ولنضرب مثلا بالتمثيل كلون من ألوان النشاط يمارسه الكفيف وقت فراغه ، وممارسة هذا اللون أمام الجمهور إنما تشعره بالثقة وتساعده على مواجهة المواقف فى محيط المبصرين .

وشغل أوقات فراغ الكفيف إنما يخرجه عن عالم الذاتية الذى يعيش فيه إلى عالم الواقعية ؛ لأنه يستطيع عن طريق النشاط الذى يمارسه أن يكتسب خبرات كثيرة يحتاج إليها ، إذا البرامج هنا وسيلة وليست غاية ، على الرغم من أن الكفيف قد لا يحس أكثر من الاستماع إليها ، إلا أنها تهدف إلى تنمية إحساسه بالروح الجماعية وإعادته تدريجيا للمجتمع الكبير عن طريق التكيف وجعله يلجأ إلى التفكير فى عاهته ؛ حيث يتصور نفسه مختلفا عن الآخرين ، ومما لا شك فيه أن هذه الاضطرابات النفسية تعطل عمليات النمو النفسى لدى الكفيف ، وتؤثر بالتالى فى شخصيته تأثيرا سيئا ، وفى النهاية يلجأ إلى العزلة والانطواء .

٢ ـ التدريب على تحمل المسئولية :

من صفات الشخص السوى أنه يستطيع القيام بالتزاماته وواجباته عن طريق تحمله المسئولية ، أما الشخص الذى يتهرب من مسئولياته ، ولا يقوم بنصيبه فى تحملها يعتبر فى الدور الخلفى الذى يعتمد الأطفال فيه على أبويهم فى قضاء شئونهم، والقيام عنهم بكل المسئوليات .

وتهمل برامج النشاط تعويد الطفل الكفيف تحمل المسئولية حتى يشعر بشخصيته وبكيانه ، وهناك بعض من المكفوفين يتهربون من المسئوليات ؛ خوفا من الطفل ونتيجة لشعورهم بالعجز ، والكفيف فى هذه المسألة لا يخاف من الفشل فى حد ذاته وإنما يخاف تأنيب من يحيط به ، أما فى إطار الجماعة فهو يتحمل من المسئوليات ما تمكنه قدراته بل ويتقدم بنفسه لتحمل هذه المسئوليات .

ولكل جماعة وظائف يقوم بها أفرادها وهم فى ذلك يتدربون على المسئوليات الجماعية وفضلا عن أن أعضاء الجماعة يتحملون المسئوليات الفردية يتحملون أيضا مسئوليات جماعية تلقيها عليهم الجماعة ، وفى ذلك أيضا تدريب على تحمل المسئولية الجماعية فيما بعد .

وبرامج النشاط عندئذ تغرس فى أعضائها وعى تحمل المسئوليات والوفاء بالالتزامات ، وهذه إحدى النواحى المهمة فى الشخصية السوية ، وعندما يشعر الفرد بنجاحه فى محيط الجماعة ، يعتبر هذا دافعا إلى النجاح فى ميادين أخرى كثيرة.. وهكذا ، وبهذه الطريقة يتخلص الكفيف من الشعور بالعجز والقصور .

٣ ـ المساعدة فى التكيف :

يعتبر التكيف فى محيط المكفوفين من العمليات المهمة ، التى تؤثر على شخصية الفرد الكفيف ، فالفرد الكفيف لما كان متكيفا مع نفسه ومع الجماعة ومع المجتمع .. فإنه بذلك يستطيع أن يقوم بخبراته ويستقل بشخصيته ، فإذا لم يصل الكفيف إلى حالة التكيف ، فمعنى ذلك إعاقة لاعتماده على نفسه والاستفادة من التربية والتدريب ، والكفيف لا يرضى بحالته ولا يتقبلها ، بل ويشعر بضيق عند اختلاطه

بأفراد أسوياء وينزوى عنهم ؛ لشعوره بأنهم أعداء له ، نظرا لأنهم لا يعاملونه المعاملة التى تناسبه وترضيه ، أو أنهم لا يلتمسون له العذر فى بعض أعماله التى يقوم بها .. لذلك فهو يكون شعورا عدائيا نحوهم ، ويكون حينذاك غير متكيف مع نفسه أو مع مجتمعه .

وتهدف برامج النشاط الاجتماعى إلى الوصول بالكفيف إلى حالة من التكيف ، سواء مع نفسه أو أسرته أو المجتمع .. والوسيلة إلى ذلك تتركز فى الجماعة المتجانسة التى يتاح فيها للكفيف الاختلاط بأفراد من سنه يشتركون معه فى العاهة نفسها ؛ الأمر الذى يجعله يأمن إلى الوسط الذى يعيش فيه ، وبالتالى يتكون لديه شعور بالرضا عن وضعه وعن نفسه .

وبالإضافة إلى ذلك ، تسعى برامج النشاط الاجتماعى إلى إتاحة الفرصة للأفراد فى المجتمع كى يتعاملوا مع المكفوفين أو يشتركوا معهم فى الأحاديث المناقشات سواء داخل المدرسة أو المؤسسة ، التى تضم المكفوفين أو خارجها ؛ مما يساعد على إزالة العلاقات السيئة والأفكار ، التى قد توجد بين الكفيف وبين الأفراد المحيطين به فى المجتمع .

ويعتبر النشاط الاجتماعى للكفيف كالزيارات والرحلات وسيلة فعالة يشترك بنفسه فى تعديل الآراء والاتجاهات التى يتبناها الأفراد فى المجتمع ، فضلا عن ذلك أنها تساعدهم فى البرهان على قدرته فى القيام بكثير من الأعمال التى يقومون بها ، ومن ناحية أخرى .. فإن هذه الاتصالات تتيح الفرصة للكفيف ؛ لكى يتعرف الاتجاهات التى تسود المجتمع نحوه ويحاول أن يتلاءم ويتكيف معها حتى إذا ما خرج إلى هذا المجتمع ، بعد انتهاء فترة بقائه فى المدرسة أو المؤسسة الداخلية كان عضوا متكيفا خاليا من مشكلات عدم التكيف ، وهكذا نجد أن برامج النشاط الاجتماعى

للكفيف إنما تساعده فى التكيف فى مختلف النواحى ، وتساعده أيضا على استغلال الموارد والمصادر الاجتماعية اللازمة له ، وما يساعده بوجه عام على نمو شخصيته .

٤ـ استغلال الحواس :

من أهداف النشاط الاجتماعى النمو بقدرات الكفيف الحيوية فى النواحى ، التى قد لا تتاح الفرصة فيها كى تقوم الرعاية الداخلية بملئها ، وكما سبق القول ، فإن النشاط الاجتماعى والرعاية الداخلية يكمل كل منها الآخر فى عملية تدريب الحواس ، وتصبح مساهمة النشاط الاجتماعى فى هذا التدريب عن طريق البرامج التى يندمج فيها الكفيف والتى يشعر بالسعادة عند ممارستها ، وبذلك تكون عملية التدريب له أتت عفوا ؛ مما يجعل الكفيف أكثر قدرة على إتقانها .

ومن أمثلة هذه البرامج الألعاب التى تعتمد على الأصوات أو التى تدور خلال المسابقات ، التى تجرى بين الأطفال لاكتشاف أماكن العملات المخبأة والتعرف على فئاتها ، ويكون السرور المكتسب من النشاط والجوائز الرمزية هى الدافع للطفل الكفيف ؛ لإجادة عملية التعرف على الأشياء ، وبذلك يتم تدريب الحواس تلقائيا لدى الطفل .

٥ـ التدريب على طريقة توجيه الحديث والاستماع المركزة :

يعتبر التحادث دفة بالنسبة للكفيف أكثر من غيره ؛ حيث يعتمد عليها فى فهم ما يحيط به وما يدور فى المجتمع الخارجى ، ولذلك فالكفيف يحتاج إلى التدريب على الحديث والاستماع الجيد الذى يؤدى له هذا الغرض ، ولا شك أن هذه حقيقة مقررة بين المكفوفين ، ويلاحظ أن من عادات الكفيف غير المدرب الشائعة عدم توجيه عينيه نحو محدثيه ، فإذا لم يتدرب على هذا العمل .. فإنه بذلك سيكون كمن يتحدث فى الهواء ، وهذه طريقة شاذة وغير عادية تجعله غير قادر على فهم ما يدور حوله ، وتشعره بالضيق وتؤثر على حالته النفسية وبالتالى فى شخصيته ، والكفيف فى حاجة إلى التدريب على الحديث لاسيما فى الجماعات ، التى يكون أفرادها قليلى الكلام .

نتبين من ذلك ضرورة وجود الجماعة التى سيتم للكفيف التدريب عن طريقها على الحديث ، بالإضافة إلى الحاجة إلى التدريب على الاستماع الجيد ؛ حتى يمكن أن يتعلم ويتلقن الخبرات التى تفيده أثناء هذا الاستماع ، ويتم ذلك عن طريق إشراك الكفيف فى الأحاديث والندوات الثقافية عامة كانت أو خاصة ، وفى الجماعة التى ينتمى إليها أو فى الجماعات التى تعيش معه فى المدرسة أو المؤسسة ؛ حتى يمكنه التعود على الحديث والاستماع والمناقشة مع أوساط مختلفة ومستويات متباينة لتساعده فى تنمية هذه العادة وتأصيلها فى نفسه .

ويجب أيضا إعطاء الكفيف فرصة لإبداء ملاحظاته وآرائه على محادثات منتهية أو مناقشة الحديث الجارى ؛ لأن هذه العملية تعوده تتبع الحديث والاشتراك فيه بصورة إيجابية .

وإذا كانت المدرسة هى ذلك المصنع الذى يعد فيه الأفراد للحياة عن طريق تأهيلهم وتدريبهم مهنيا وعلميا وتزويدهم بحصيلة من المعلومات والمعارف والخبرات اللازمة والضرورية لهم فة حياتهم المستقبلية .. فإن النشاط يعتبر الركن والركيزة الأساسية الثانية فى إعداد الفرد وتدريبه فى نواحى الحياة الاجتماعية التى سيعيش فيها ، والتى ترتبط ارتباطا وثيقا بالحياة العملية ، ولا شك أن النشاط الاجتماعى للمكفوفين يمثل الجانب المهم فى حياة الطالب ؛ إذ يساعده على تقبل المدرسة والاندماج فيها بجانب إعداده للحياة فى المجتمع الخارجى .

بهذا تكتمل الصورة فيعمل النشاط الاجتماعى بجانب المدرسة لإعداد الفرد الكفيف لمرحلة الحياة العملية ، التى يكون فيها النشاط والإنتاج والفائدة .

إن ما أوضحناه اتجاهات واحتياجات اجتماعية ، يستحسن أن يسترشد بها المسئولون عن رعاية وتوجيه المكفوفين فى إعداد خططهم ؛ كى تقابل حاجات الكفيف وتكون لديه الاتجاهات الاجتماعية السليمة .